(٤١)... ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله علي كل شئ قدير

بقلم الدكتور: زغلول النجار

التعبير بـ رب السماوات والأرض وما بينهما في القرآن الكريم

ورد التعبير القرآني رب السماوات والأرض وما بينهما في عشرين موضعا من القرآن الكريم على النحو التالي:

(١) لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير.(المائدة:١٧)

(٢) وقالت اليهود النصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، قل فلم يعذبكم بذنوبكم، بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير(المائدة١٨)

(٣) وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل(الحجر:٨٥)

(٤) وما تتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا* رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا(مريم:٦٤،٦٥)

(٥) تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى* الرحمن على العرش استوى* له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى(طه:٤ -٦).

(٦) وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين(الأنبياء:١٦)

(٧) الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا(الفرقان:٥٩)

(٨) - قال فرعون وما رب العالمين قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين (الشعراء:٢٣ -٢٤)

(٩) أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون(الروم:٨)

(١٠) الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون (السجدة:٤).

(١١) إن إلهكم لواحد، رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق(الصافات:٤،٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(١٢) أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب، أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب(ص:٩،١٠).

(١٣) وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار(ص:٢٧)

(١٤) رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار(ص:٦٦).

(١٥) وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم. وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون(الزخرف:٨٤،٨٥).

(١٦) رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين(الدخان:٧).

(١٧) وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون (الدخان:٣٨).

(١٨) ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون (الأحقاف:٣)

(١٩) ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب (ق:٣٨).

(٢٠) رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا(النبأ:٣٧).

(بين) في اللغة العربية بالتخفيف ظرف مكان أو زمان بمعني وسط، أو موضوع للخلالة بين الشيئين أو الزمنين، ووسطهما، يقال، لقد تقطع بينكم أي ما(بينكم) على الحذف فإن جعلته اسما فاعلا أعربته تقول: لقد تقطع(بينكم) أي وصلكم، فـ(البين) هو الوصل، وهو(البينونة) أيضا الفراق لأنه من الأضداد، و(البون) و(البين) هو الفضل والمزية أو البعد، يقال: بينهما(بون) أو(بين) بعيدا، والواو أفصح؛ فأما بمعنى البعد فيقال: إن بينهما(بينا) لا تميد.

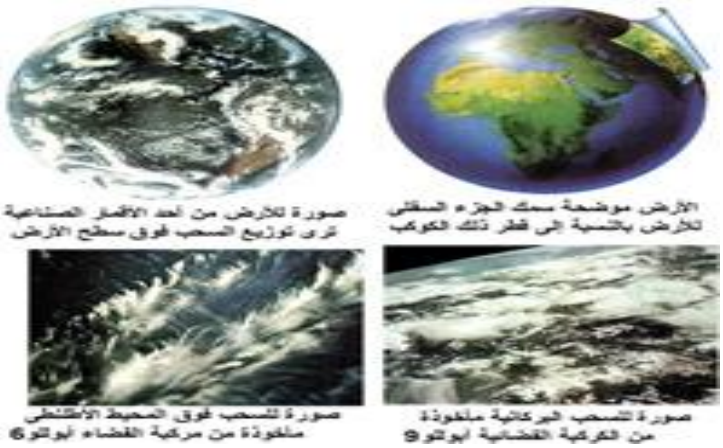

ما بين السماوات والأرض في أقوال المفسرين:

في قوله(تعالى):

لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير* وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير*

(المائدة١٧،١٨)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جاء التعبير القرآني، ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما مرتين قال ابن كثير(رحمه الله) في تفسير الأولى منهما: أي جميع الموجودات ملكه وخلقه، وفي تفسير الثانية قال: أي الجميع ملكه، وتحت قهره وسلطانه... وقال صاحب الظلال(رحمه الله رحمة واسعة): أي أن الله هو المالك لكل شيء.
وذكر صاحب صفوة التفاسير(جزاه الله خيرا) في الأولى : أي من الخلق والعجائب وفي الثانية: أي الجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه وفي التعليق علي نص مشابه في الآية ٥٩ من سورة الفرقان ذكر أصحاب المنتخب في تفسير القرآن الكريم ما نصه أن هذا النص يشير إلى سائر أجرام السماء من نجوم وكواكب وأقمار وأتربة كونية وغازات وطاقات يتألف الكون منها. والحقيقة أن هناك آيتين من آيات القرآن الكريم تلقيان بعض الضوء على دلالة ما بين السماوات والأرض، في أولاهما يقول ربنا(تبارك وتعالى):

إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون*(البقرة:١٦٤)
ومن هذه الآية الكريمة يفهم أن السحاب هو مما بين السماء والأرض.

وفي الآية الثانية يقول ربنا(سبحانه وتعالى):
الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما*(الطلاق:١٢)
ومن هذه الآية الكريمة يفهم أن الأمر الإلهي هو مما يتنزل بين السماوات السبع والأرضين السبع.

وفي الحديث المروي عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم) يقول فيه(عليه الصلاة والسلام): سبحان الله عدد ما خلق في السماء، سبحان الله عدد ما خلق في الأرض، سبحان الله عدد ما خلق بينهما، سبحان الله عدد ما هو خالق...
ويقول(صلى الله عليه وسلم) في حديث آخر: أطت السماء أطا وحق لها أن تئط... ما من أربع أصابع إلا وفيها ملك قائم أو راكع أو ساجد يعبد ربه... لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا...

ما بين السماوات والأرض في العلوم المكتسبة:

وصل معظم المفسرين - من القدامى والمعاصرين - إلى أن من دلالات قوله(تعالى): رب السماوات والأرض وما بينهما أنه(تعالى) هو رب العوالم علويها وسفليها، فلا ربوبية لغيره، ولا شريك له في ملكه؛ وهذا صحيح، ولكنه لا يفسر لنا ماهية الموجود بين السماوات والأرض، الذي تشير الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة والعلوم المكتسبة إلي أنه يشمل:
(١) المكان والزمان في حدود نطاق يفصل بين السماوات والأرض.

(٢) المادة والطاقة في هذا النطاق.

(٣) السحاب المسخر بين السماء والأرض في هذا النطاق.

(٤) الملائكة وغيرهم من الخلائق في هذا النطاق.

(٥) الأوامر الإلهية المتنزلة في هذا النطاق وعبره.

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: لماذا اعتبر القرآن الكريم أن هناك فاصلا بين السماوات والأرض؟ وماذا تقول العلوم المكتسبة عن هذا الفاصل؟
تجمع العلوم المكتسبة في مجالي علم الفلك والفيزياء الفلكية على أن خلق كل من المكان والزمان والمادة والطاقة قد تزامن مع عملية الانفجار العظيم؛ فلا يوجد في الكون الذي نعرفه مكان بلا زمان، ولا زمان بلا مكان، كما لا يوجد مكان وزمان بغير مادة وطاقة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالمادة والطاقة موجودتان بين كل من الأرض والشمس، وبينهما وبين كافة أجرام المجموعة الشمسية، ليس هذا فقط بل بين النجوم وحولها، وبين المجرات وحولها، بل في الجزء المدرك من الكون كله.

وعلماء الفلك والطبيعة الفلكية يتحدثون اليوم عن المادة حول الكواكب
(Circum-Planetarymatter),
وبين الكواكب
(Inter-Planetarymatter)
وحول النجوم
(Cirlum-SyellarMarrer)
وبينها
(Inter-StellarMatter)
وحول المجرات
(Circum-galacterMatter)
وبينها
(Inter-galacticmatter),
وبين كل تجمع سماوي مهما تعاظم حجمه وفسحة السماء، وذلك لأن تحرك كل من المادة والطاقة بين أجرام السماء وبين المكان والزمان والمحيطين بهما من الأمور التي أكدتها الدراسات الفلكية مؤخرا، ومن أثقلتها تخلق النجوم من الدخان الكوني وعودتها إليه في دورة حياة النجوم، ومن أمثلة المادة المنتشرة بين الأرض والسماء ما يلي:
(١) المادة بين الكواكب
(TheInter-PlanetaryMatter)
وهي عبارة عن خليط من الغازات والجسيمات الصلبة المتناهية في دقة الحجم(من ٠،٠٠١ من المليمتر إلى ٠،١ من المليمتر في القطر وإن كانت أقطار تلك الجسيمات الصلبة قد تصل في حالات نادرة إلي أقطار كل من النيازك والكويكبات) وتنتشر مادة ما بين الكواكب بين الأرض والشمس، وبينهما وبين بقية كواكب المجموعة الشمسية، وتتراوح كثافة تلك المادة بين(١٠-٢١) و(١٠-٢٣) جراما للسنتيمتر المكعب، وتقدير كميتها في مدار الأرض بحوالي واحد من مائة مليون من كتلة الأرض(١٠-٨) من كتلة الأرض) وتتكون هذه المادة أساسا من غاز الإيدروجين المتأين(أي من البروتونات والإليكترونات) ومن نوى ذرات الهيليوم.
ويقدر ما يصل إلى الأرض من مادة الشهب والنيازك بحوالي عشر الطن إلى مائة طن في اليوم الواحد، وتختلف حركة الجسيمات الصلبة في مادة ما بين الكواكب حسب اختلاف أقطارها وحسب قوانين الميكانيكا السماوية.

وفي نفس الوقت يتصاعد من فوهات البراكين الأرضية كميات هائلة من الغازات والأبخرة التي يغلب على تركيبها بخار الماء(حوالي ٧٠%) بالإضافة إلى أخلاط من الغازات المختلفة التي تترتب حسب نسبة كل منها على النحو التالي: ثاني أكسيد الكربون، الإيدروجين، أبخرة حمض الكلور، النيتروجين، فلوريد الإيدروجين، ثاني أكسيد الكبريت، كبريتيد الإيدروجين، غازات الميثان و الأمونيا وغيرها، بالإضافة إلى بعض الجسيمات الصلبة.
الغلاف الغازي للأرض: باختلاط ما يتصاعد من فوهات البراكين مع ما حول الأرض من مادة ما بين الكواكب تكون الغلاف الغازي للأرض وهو خليط من كل من مادة الأرض ومادة السماء الدنيا، ومن هنا كان حديث القرآن الكريم عن السماوات والأرض وما بينهما.

وتقدر كتلة الغلاف الغازي للأرض بأكثر من خمسة آلاف مليون طن(٥،٢*١٠-١٥ من الأطنان)، ويقدر سمكه بعدة آلاف من الكيلو مترات فوق مستوى سطح البحر، ويتناقص ضغطه من نحو الكيلو جرام على السنتيمتر المربع عند هذا المستوى إلى واحد من المليون من ذلك في أجزائه العليا.

ويقسم الغلاف الغازي للأرض إلى قسمين رئيسيين على النحو التالي:
(أ) الجزء السفلي من الغلاف الغازي للأرض: ويتكون أساسا من خليط من جزئيات النيتروجين والأوكسجين وعدد من الغازات الأخرى ويعرف باسم النطاق المتجانس ويقسم إلى ثلاثة نطيقات متميزة من أسفل إلى أعلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على النحو التالي:

(١) نطيق التغيرات الجوية(نطيق الطقس أو الرجع)
(TheTroposphere)
وهو الملامس للأرض مباشرة ويمتد من مستوى سطح البحر إلى ارتفاع حوالي١٧ كم فوق خط الاستواء، متناقصا في السمك إلى ما بين ٦ كم،٨ كم فوق القطبين، ويختلف سمكه فوق خطوط العرض الوسطي باختلاف ظروفها الجوية، فينكمش إلى ما دون السبعة كيلو مترات في مناطق الضغط المنخفض ويمتد إلى حوالي١٣ كم في مناطق الضغط المرتفع.
ويضم هذا النطيق حوالي ثلثي كتلة الغلاف الغازي للأرض(٦٦%)، وتتناقص درجة الحرارة فيه باستمرار مع الارتفاع بمعدل ستة درجات مئوية كل كيلو متر ارتفاع في المتوسط حتى تصل إلى ستين درجة مئوية تحت الصفر في قمة هذا النطيق المعروفة باسم مستوى الركود الجوي
TheTropopause))
وذلك لتناقص الضغط فيه إلى حوالي عشر الضغط الجوي عند سطح البحر.

ويحدث ذلك نتيجة للبعد عن سطح الأرض وهو مصدر التدفئة الصاعدة إلى هذا النطاق بعد امتصاص جزء من حرارة الشمس في كل نهار وإعادة إشعاعه إلى جو الأرض. ويتكثف بخار الماء الصاعد من الأرض في نطيق الثغيرات الجوية، وتتكون السحب فيه، ويهطل كل من المطر والبرد والثلج منه، وتحدث ظواهر الرعد والبرق، والعواصف، والدوامات، وتيارات الحمل الهوائية وغير ذلك من حركات الرياح فيه ولذا يقول الحق(تبارك وتعالى) في محكم كتابه:
... والسحاب المسخر بين السماء والأرض...(البقرة:١٦٤) ويتركب هذا النطيق أساسا من جزيئات كل من غازات النيتروجين(بنسبة ٧٨,١% بالحجم) والأوكسجين(بنسبة ٢١% بالحجم)، والأرجون(بنسبة٠،٩٣% بالحجم)، وثاني أكسيد الكربون(بنسبة٠،٠٣% بالحجم)، بالإضافة إلى نسب ضئيلة من بخار الماء، وآثار طفيفة من كل من غازات الميثان، وأكاسيد النيتروجين، وأول أكسيد الكربون، والإيدروجين، والهيليوم، والأوزون، وبعض الغازات الخاملة مثل الأرجون.

(٢) نطيق التطبق
(Thestratosphere)
ويمتد من فوق مستوى الركود الجوي إلى قرابة الخمسين كيلو مترا فوق مستوى سطح البحر(ويتراوح سمكه بين٣٣،٤٤ كيلو مترا) وينتهي بمستويى الركود الطبقي،
(Thestratospause)
وترتفع درجة الحرارة في هذا النطيق من حوالي الستين مئوية تحت الصفر عند قاعدته إلى نحو الثلاث درجات مئوية فوق الصفر عند قمته، ويرجع ذلك إلى امتصاص قدر من الأشعة فوق البنفسجية القادمة مع أشعة الشمس بواسطة جزيئات الأوزون المنتشرة فيما يسمي باسم حزام الأوزون
(TheozoneBelrortheozonosphere)
الموجود في الجزء السفلي من هذا النطيق(بين ارتفاعي١٨،٣٠ كم فوق مستوى سطح البحر) ويتركز غاز الأوزون في هذا الحزام بنسبة٠،٠٠١% ولكنها على ضآلتها تعتبر نسبة كافية لحماية الحياة على الأرض من أضرار الأشعة فوق البنفسجية وهي أشعة حارقة ومدمرة لكافة الخلايا الحية، ولولا هذه الحماية الربانية والعديد غيرها من صور الحماية التي وضعها الخالق سبحانه وتعالى بين السماء والأرض والتي لا يتسع المقام لسردها لاستحالت الحياة على سطح الأرض، ويستمر الضغط الجوي في الانخفاض في نطيق التطبق من قاعدته إلى قمته حتى يصل إلى واحد من الألف من الضغط الجوي عند سطح البحر.

(٣) النطيق المتوسط
(theMesosphere):
ويمتد من مستوى الركود الطبقي إلى ارتفاع٨٠ ـ ٩٠ كم فوق مستوى سطح البحر(فيتراوح سمكه بين٣٠،٤٠ كم) وتنخفض درجة الحرارة في هذا النطيق بمعدل ثلاث درجات لكل كيلو متر ارتفاع تقريبا حتى تصل إلى نحو مائة درجة مئوية تحت الصفر عند حده العلوي والمعروف باسم مستوى الركود الأوسط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

theMesopause))
وإن كانت درجة الحرارة تلك. تتغير باستمرار مع تغير الفصول المناخية.
كذلك يستمر الضغط في الانخفاض مع الارتفاع حتى يصل في قمة هذا النطيق إلى أربعة من المليون من الضغط الجوي عند سطح البحر.

(ب) الجزء العلوي من الغلاف الغازي للأرض.
وهذا الجزء من الغلاف الغازي للأرض يختلف اختلافا كليا عن جزئه السفلي ولذا يعرف باسم غلاف التباين
(TheHeterosphere)
وتبدأ جزئيات مكوناته في التفكك إلي ذراتها وأيوناتها بفعل كل من أشعة الشمس والأشعة الكونية، كذلك تسود فيه ذرات الغازات الخفيفة مثل الإيدروجين والهيليوم على حساب الذرات الكثيفة نسبيا مثل الأوكسجين والنيتروجين.

وتواصل درجات الحرارة الارتفاع في هذا الجزء حتى تصل إلى أكثر من ألفي درجة مئوية، ويواصل الضغط في الانخفاض حتى يصل في قمته إلى أقل من واحد في المليون من الضغط الجوي على سطح الأرض، ويحوي هذا الجزء من الغلاف الغازي للأرض على نطيقين متميزين هما من أسفل إلى أعلى كما يلي:
(١) نطيق الحرارة
(TheThermosphere)
ويمتد من مستوى الركود المتوسط إلى عدة مئات من الكيلو مترات في مستوى سطح البحر(ويقدر سمكه عدة كيلومترات)، وتواصل درجة الحرارة في الارتفاع فيه من نحو مائة درجة مئوية إلى مابين٢٢٧،٥٠٠ درجة مئوية عند ارتفاع مائة وعشرين كيلو مترا فوق مستوى سطح البحر، وتبقي درجة الحرارة ثابتة تقريبا عند درجة٥٠٠ م إلى ارتفاع يتراوح بين٣٠٠،٤٠٠ كم.
فوق مستوى سطح البحر، ثم تقفز بعد ذلك إلى مابين١٥٠٠،٢٠٠٠ درجة مئوية في نهاية النطيق وتزيد عن ذلك في فترات النشاط الشمسي.

(٢) النطيق الخارجي
TheExosphere):)
ويعلو النطاق الحراري مباشرة، وتثبت فيه درجة الحرارة نسبيا، ولذا يطلق عليه أحيانا اسم نطاق التساوي الحراري
theIsothermalsphere),)
ويتضاءل الضغط فيه وتتمدد الغازات بشكل كبير وتتحرك ذراتها بحرية كاملة في مساراتها فتقل فرص التلاقي بينها بعد ارتفاع يطلق عليه اسم الارتفاع الحرج أو خط ركود الضغط الجوي أو قاعدة العوالم الخارجية عن الأرض. وعند هذا الحد يبدأ الغلاف الغازي للأرض في الالتحام بقاعدة السماء الدنيا أو ما يطلق عليه اسم المادة بين السماء والأرض.
وهنا تتضاءل سيطرة الجاذبية الأرضية علي ذرات الجزء العلوي من هذا النطيق الخارجي مما يزيد من قدرات تلك الذرات على الانفلات من قيود الجاذبية الأرضية والهروب بعيدا عن الأرض.

وفي المنطقة من قمة النطاق المتوسط إلى أقصى الحدود العلوية للغلاف الغازي للأرض تتأين ذرات الغازات بفعل كل من الأشعة فوق البنفسجية والسينية القادمة مع أشعة الشمس، وبعض جسيمات كل من الأشعة الشمسية والكونية.
ويطلق على هذا السمك اسم نطاق التأين
(Thelonosphere)
والمنطقة التي تفوق فيها طاقة الأيونات الطاقة الحرارية فإنها تتحرك بين خطوط قوى مجال الجاذبية الأرضية مكونة منطقة تعرف باسم النطاق المغناطيسي للأرض
(TheMagnelosphere)
وتمتد إلى نهاية الغلاف الغازي للأرض. وقد تتداخل في نطاق المادة بين الكواكب.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كذلك تم اكتشاف زوجين من الأحزمة الإشعاعية
(TheradiationBelrs)
التي تحيط بالأرض على هيئة هلالية مزدوجة تزيد في السمك عند خط الاستواء وترق رقة شديدة عند القطبين، وفيها تحتبس الأيونات والليئات الأولية للمادة التي يقتنصها المجال المغناطيسي للأرض فتتحرك عبر ذلك المجال من أحد قطبي الأرض إلى الآخر وبالعكس في حركة دائبة.
وهذه الحقائق لم يدركها العلماء إلا في بداية الستينات من القرن العشرين، وهي تمثل فاصلا حقيقيا بين الأرض والسماء، ومن هنا تأتي الإشارات القرآنية بقول الحق(تبارك وتعالى): رب السماوات والأرض وما بينهما في أكثر من عشرين موضعا من كتاب الله سبقا علميا يقطع بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق ويشهد بالنبوة وبالرسالة للنبي الخاتم والرسول الخاتم الذي تلقاه فصلى الله وسلم وبارك عليه والحمد لله رب العالمين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com